الألوان في الحضارة الآشورية

د. ازهار هاشم شيت
جامعة الموصل / مركز دراسات الموصل

تاريخ تسليم البحث : 2005/1/11 ؛ تاريخ قبول النشر : 2005/10/26

ملخص البحث :

عرف الاشوريون الالوان وكيفية تحضيرها واستخلاصها على هيئة اصباغ من عدة مصادر منها النباتية والمعدنية والحيوانية، وتكمن اهمية هذا البحث في كونه يسهم اسهاماً واضحاً في الكشف عن مقومات حضارية في مجال الفن الانساني، حيث نجد ان اللون ومعانيه الرمزية في الفن الاشوري كان قد جسد الطبيعة والبيئة الاشورية ضمن العمل الفني للرسوم والمنحوتات الجدارية، كما ان هذا البحث يسلط الضوء على جانب مهم من الحضارة والفن الاشوري. تناول البحث اهم الالوان التي تمكن الاشوريون من تحضيرها ثم المجالات العديدة التي استخدمت فيها الالوان منها صبغ المنسوجات والجلود على اصنافها المتعددة وفي الطلاء والرسوم الجدارية وفي عمليات التزجيج المختلفة، ودخلت في طلاء بعض اجزاء المنحوتات الجدارية والعاجية، كما كانت الالوان ضمن مواد التجميل وزينة المظهر الخارجي، كما استخدم الاشوريون الالوان لمعالجة الاوجاع وتشخيص الحالات المرضية والنفسية وتناول البحث رمزية ومعاني الالوان عند الاشوريين.

Colors in Assyrian Civilization

Dr. Azhar Hashem Shet

University of Mosul – Mosul Study Center

Abstract:

Assyrians knew colors and how to prepare and extract them from several sourses some of which are plent, mineral and animal. They had used colors in many aspects, such as painting various textiles like clothes, curtains, rugs, mattresses, and in painting hides for making shoes and horses reins. They also used colors to paint walls of palaces and temples, and other wall colored drawings in royal palaces and chambers. Colors also were used in glazing works of wall paintings like the wall painting of

the god Ashur in Nimrud and of the Shalmaneser III's fortress wall paintings. Colors were used, also, in painting some parts of Assyrian wall sculptures to delimitate hair, beard, eyes, weapons, flowers and leaves. Colors, also, were used in ivory sculptures, cosmotics, hair paints and other paints and oils used by women especially the red color which was used for lips, cheeks and eyes shadow.

Assyrians also used colors in healing physical pains as they believed in their ability to cure of some diseases especially the red which protect against evil spirits and other diseases like measles. They also used the black and the green to avoid some infant and pregnant women diseases. the research also studied meanings and symbols colors of assarisans.

تمهيد:

تعد الالوان احدى الوسائل المهمة للتعبير عن الاشياء بافضل صورها وتمييز بعضها عن بعض، والانسان عاش منذ القدم ولا يزال يعيش في عالم متعدد الالوان، فالارض وما عليها متنوعة الالوان والانواع والاجناس والثمار متنوعة الالوان والجبال ملونة الشعاب والناس والدواب والانعام باشكالها والوانها المتعددة الكثيرة[1]، قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** [سورة فاطر/ 27-28] .

تعلم العراقيون القدماء وبالاخص الاشوريون صناعة الالوان وبرعوا في تحضيرها ذلك لانهم استوطنوا المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين التي عرفت بظهور الفخار الملون مثل فخاريات حسونة و سامراء وحلف منذ الالف السادس ق. م، حيث استفادوا من الخبرة التي تولدت في تلك المنطقة نتيجة لتوفر النباتات[2]، التي يمكن ان تعطيهم الالوان على هيئة اصباغ[3]، بحيث انهم استخدموها في الرسم والطلاء وفي صبغ الاقمشة والملابس وتلوين الجلود، والفخار وفي معظم اعمالهم الفنية التي عثر عليها في عواصمهم ومدنهم، لانهم ايقنوا ان اية مادة مصنعة مهما كانت متقنة الصنع فان جمال الوانها سوف يعطيها روعة اكثر كما وجدوا في الالوان تأثيراً في حياتهم فمنها ما تركن اليه النفس وترتاح لرؤيته ومنها ما يثير الانفعال بحيث يبعث في النفس الفرح والسرور، حيث ان لها دلالات ذات معانٍ نفسية خاصة لسبب ما

تتركه الالوان بأعصاب العين الباصرة من اثر، لذا فقد ارتبط العديد من الالوان المستخلصة بالامور الدينية والسحر[4]، أي ان اللون ودلالاته ارتبط بمعان رمزية بحيث ظهرت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية عن طريق العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية لسكان بلاد الرافدين عامة والآشوريين خاصة ولا تزال الالوان تلعب دوراً مهماً وحتى اليوم في بعض التقاليد والقضايا النفسية، ومن الجدير بالذكر ان الآشوريين رغم استخدامهم للالوان في معظم اعمالهم الفنية سواء في الرسوم والمنحوتات الجدارية او في بقية المجالات، الا ان الكثير منها قد فقدت الوانها للاسباب التالية:

1. بدائية الالوان ولطول الفترة الزمنية التي مرت عليها فكثير من الالوان في وقتنا الحالي يزول بعد فترة قصيرة[5].
2. الظروف المناخية في العراق لا تساعد على بقاء الالوان لانها تخفق في مقاومة تآكل الارض ورطوبتها[6].

اولاً. الالوان التي استخدمها الآشوريون: [*]

يمكن تقسيم الألوان التي استخدمها الآشوريون الى:

أ . **الالوان الطبيعية:** وهي الألوان المشتقة من الوان الصوف والشعر الطبيعي غير المصبوغ المأخوذة من الاغنام والماعز وغيرها ويغلب عليها اللون الابيض والاسود والبني، حيث يتم نسج الاقمشة من الصوف او من الكتان او من القطن وقد كانا معروفين لدى الاشوريين.

ب. الالوان الصناعية (الاصباغ): تمكن الاشوريون من تصنيع الالوان من عدة مصادر منها النباتية او المعدنية او من الاحجار الكريمة كاللازورد فضلاً عن المصادر الحيوانية وقد حصل الاشوريون على المواد الاولية التي تصنع منها الاصباغ اما عن طريق جلب التجار الاشوريين لها او عن طريق الاتاوات والضرائب التي فرضها الاشوريون على المناطق والاقاليم التي سيطروا عليها، وقد تمكن الاشوريون من تحضير واستخلاص العديد من الالوان وفي مقدمتها:

1. **اللون الاحمر:** وهو على الارجح اول لون استعمله الانسان في رسوماته وزخارفه[7]، واشتهر هذا اللون عند الاشوريين فقد اطلقوا عليه تسمية لون الدم ويعرف بالاكدية (دَمُ damu ومنها adamatu) الذي يعني اللون الاحمر والاحمر الغامق[8] وكانت لديه اطياف متعددة، حيث ميزوا من اطيافه منها ما هو بلون الدم وكذلك الطيف بلون التفاح والاحمر بلون المغرة، لان النصوص التي تعود للتجار الاشوريين اشارت الى وجود درجات لالوان الاقمشة فهناك قماش احمر من الدرجة الثانية ومن الدرجة الثالثة[9]، ومن المحتمل ان الاشوريين استخلصوا هذا اللون من دم الحيوانات او من عصير الرمان او من اشجار

البلوط، او من تفاعل اكاسيد الحديد في محلول قاعدي وتميزت الخلطة الحمراء المخصصة للتزجيج او في الرسم او الطلاء عن تلك المخصصة لصبغ الملابس، كما تميزت العجينة الحمراء التي تميل الى اللون الاصفر وهو اللون الناتج والقريب من لون الذهب والتي استخدمت في الرسم وطلاء الجدران[10].

2. **اللون الازرق**[*] (يطلق بالاكدية على الصبغ او الصوف او المعدن الذي لونه ازرق تاكيلتو takiltu)[11]: لقد تفنن الاشوريون في استخلاص الالوان ومنها اللون الازرق ومن مصادر مختلفة كالمعادن والاحجار وخاصةً حجر اللازورد[12]، او من مصادر نباتية من صبغ النيلج او النيلة او صبغ النيل حيث كان يتم استخلاص عصارة هذا النبات الطبيعي ويتم تفاعله مع الكلس للحصول على لون ارزق غامق[13]، كما يستخلص من املاح النحاس وكاربوناته القاعدية ذات اللون الازرق وهناك بعض النصوص المسمارية التي توضح معرفة العراقيين القدماء لاساليب استخراج الصبغة الزرقاء منها "اذا اردت تحضير صبغة بلون ازرق فاتح اسحق ما مقداره 5 كغم من حجر الاناكو(Anaku) و 7 كغم ونصف من الرماد المستخدم في الغسيل واخلط العناصر هذه وضعها في فرن ذي اربعة ثقوب واعمل ناراً بدون دخان وعندما يصبح لون الخليط احمر اخرجه واتركه ليبرد واسحق الخليط وضعه على كمية من الملح وضع الخليط على نار هادئة وعندما يصبح لونه احمر–برتقالياً اسكبه على الطابوق ليصبح تزجيج بلون ازرق فاتح"[14]، كما كان الصوف المصبوغ باللون الأزرق شائعاً جداً في بلاد الرافدين وخصوصاً بالنسبة للثياب[15].

3. **اللون الارجواني**: يعرف هذا اللون بالاكدية بلفظة مشابهة للفظة العربية (ارجمانُ argamannu)[16] التي وردت ضمن قوائم الاتاوة التي كان الاشوريون يأخذونها من الاقاليم الواقعة على سواحل البحر المتوسط وعدّ الاشوريون هذا اللون من الالوان الراقية حيث يرمز للدم النقي والسلطة الحاكمة والطبقة الاجتماعية الراقية، وكان لهذا اللون اطياف تتراوح بين الاحمر والازرق والبنفسجي وكانت مصادره القواقع البحرية ومن نوع خاص يعرف بـ (بلح البحر) يحصل عليه الاشوريون من السواحل الفينيقية وشواطئ صيدا على البحر المتوسط، وهو يعيش في صدفة الحلزون وله تحت رأسه غدة تحتوي على مادة الصبغ فاذا استخرجت هذه المادة وعرضت للشمس فانها تتلون باللون الارجواني[17]، فضلاً عن استخلاص هذا اللون من مصادر اخرى وهناك نص مسماري يذكر تفاصيل تحضير الاشوريين لصبغة بلون ارجواني من خليط المعادن والمساحيق وترد تفاصيل ذلك كالاتي: "30 جزء من مادة tersitu التي تترجم الى مسحوق زجاجي واجزاء من معدن النحاس و 4 جزء من نوع من الزجاج sirsu و 15 جزء من الرمل، تخلط هذه الاجزاء وتسحق الى ان تصبح طحيناً ناعماً ثم تشوى خلال سبعة ايام وسبع ليالي"[18].

4. **اللون الاصفر:** يعرف هذا اللون بالاكدية بـ (ورقو orqu)[19] استخدم الاشوريون هذا اللون على نطاق ضيق وتمكنوا من الحصول عليه من زهرة السمة التي يستخلص منها الزعفران الذي يلفظ بالاكدية بـ(azupiru) الذي يعطي اللون الأصفر ومن الكركم (اسمه الاكديkurkanu) ومن ثمار شجر الرمان وقد استخدم الأصفر بأطياف مختلفة[20].
5. **اللون الاسود:** يعرف هذا اللون بالاكدية بـ (صلمو salmu)[21] استخرج الاشوريون هذا اللون من اكاسيد الحديد الممزوج مع السماق او من مزج الشب بالعفص[22]، وقد استخدم هذا اللون في زينة بعض أجزاء التماثيل الاشورية وخاصةً الرأس واللحية، كما ورد ذكر لكميات من الأنسجة السوداء المصدرة من الورشات الاشورية الى اقاليم اسيا الصغرى وخاصةً اقليم كبد وكيا والتي غالباً ما كانت تستخدم كغلاف للانسجة الاشورية المصدرة[23]، وللحصول على اللون الابيض (الذي يعرف بالاكدية بـ بيشو pesu)[24] فقد اعتاد الاشوريون على استخدام الجص لطلاء الجدران، فضلاً عن معرفة الاشوريين اللون الاخضر[*] بظلاله المتفاوتة الا انه كان نادراً.

ثانياً. مجالات استخدام الالوان عند الاشوريين:

1. الالوان لصبغ وتلوين المنسوجات:

استطاع الاشوريون ان يستخدموا الالوان التي تم لهم استخلاصها وتحضيرها في عملية صباغة وتلوين المنسوجات باصنافها العديدة فمنها المخصصة لصناعة الملابس ثم الانسجة المستخدمة في صناعة فرش النوم وتغطية الكراسي والارائك والستائر ومنها الانسجة التي تدخل في صناعة الطنافس[*] والسجاد. وكانت عملية الصبغ تتم في اوعية خشبية كبيرة مع اضافة مواد معينة لتثبيت الالوان منها املاح النحاس والحديد وكاربونات الصوديوم واملاح الامونيا فضلاً عن الشب والزيت وثمار الرمان وقشوره والسماق[25].

2. الالوان في الرسوم الجدارية الاشورية:

اشتهرت الرسوم الجدارية الاشورية بتجانس الوانها ذلك لان الرسام الاشوري قد اتقن اسلوب تدرج الالوان في الرسم من الدرجة الشفافة الى الدرجة النصف معتمة وحتى الالوان الداكنة فقد اظهر جمالاً اخاذاً في استعمال اللون الواحد بدرجات مختلفة من الحدة وذلك ادى الى معرفته بطريقة مزج الالوان مع بعضها للحصول على الوان اخرى كمزج اللون الاحمر مع الابيض للحصول على اللون الوردي. لقد استخدم الاشوريون الالوان في تزيين جدران قصورهم منذ عهد الملك (توكلتي نينورتا الاول1246–1209 ق.م) عندما شيد قصرا في المدينة التي بناها باسمه وهي كارتوكلتي – نينورتا (تل هيجال) مقابل مدينة اشور على الضفة الشرقية لنهر

دجلة. وقد استخدم في هذا القصر اللون الابيض للارضيات والاسود لتحديد الاشكال المرسومة، كما تم العثور على اجزاء من زخرفة جدارية في الزاوية الشمالية لشرفة القصر وهي مقسمة الى حقول مربعة لتشكل شريطاً على الجدار وبالوان تتسلسل على التوالي الازرق، الاحمر، الابيض وتفصلها عن بعضها اشرطة مقسمة الى مستطيلات حمراء وزرقاء مع رسم الوردة الاشورية البيضاء داخل المربعات الحمراء، اما نقاط تقاطع الاشرطة الفاصلة بين المربعات فرسمت بوريدات كبيرة ذات اوراق بيضاء وحمراء، وفي الزاوية الجنوبية لهذه الشرفة رسم الموضوع الرئيسي داخل مساحات رباعية الشكل غير متساوية المساحة مع بعضها تحوي داخلها رسوماً لغزلان تتقابل مع بعضها امام نخيلة وتحيط بهذه المربعات اشرطة تنقسم الى مربعات زرقاء وحمراء داخلها زهرة اللوتس والوردة الاشورية[26]، كما وجدت في مدينة اشور بقايا من الوان براقة يبدو فيها الاله اشور وسط دائرة ملونة في تفاصيلها ومزدانة عند الاعلى بكتابة مسمارية[27]. واستمرت تقاليد الرسوم الجدارية الملونة في العصر الاشوري الحديث، ففي احدى القاعات الخلفية وهي (القاعة 9) للقصر الشمالي الغربي لاشور ناصربال الثاني (883–859ق.م) في كلخ (نمرود) هناك جزء من رسم لزخرفة هندسية باللونين الاحمر والازرق[28]، وفي احدى غرف السكن (ك) في خرسباد وجدت زخرفة جدارية يبلغ ارتفاعها (40قدم) تضم افريزاً مزدوجاً لجن راكعة مجنحة تؤطر صفا من ثيران متقابلة زين رواق نصف دائري بمشهد العبادة وكانت الالوان التي استعملت فيه اللون الازرق والاحمر والاخضر والابيض[29].

وأحتوى قصر الملك سرجون الثاني (721–705ق.م) على ثلاثة معابد على شكل زقورات كل زقورة شيدت باربعة طوابق ويظن انها كانت مزينة بالوان رمزية مختلفة بيضاء وسوداء وارجوانية وزرقاء، كما عثر في هذا القصر ايضاً على بقايا لارصفة الاجزاء السفلى لجدرانه وهي مكونة من بلاطات مختلفة الالوان[30].

وفي تل بارسيب (تل الاحمر على نهر الفرات) عثر على قصر يعود الى عهد الملك تجلاتبليزر الثالث (745–727 ق.م) وقد احتوى على رسوم جدارية تمثل مشاهد استقبال الملك للحكام الخاضعين والهدايا المقدمة اليه وقد نفذت باللون الازرق والاحمر والاسود على خلفية بيضاء. فضلاً عن مناظر الخيول والزوارق باللون الاحمر والمحاربين حاملي التروس ذات الحلقات المتداخلة باللونين الازرق والاحمر، اما قاعة العرش فتحتوي لوحات باللونين الازرق والاحمر على ارضية مصغرة ويظهر الملك جالساً على كرسي العرش فوق قاعدة مزينة بزخارف على شكل وريدات حمراء فوق خلفية زرقاء، ويبدو كرسي العرش وعليه وسادة من قماش ذي مربعات حمراء وزرقاء ويظهر الجنود وهم يرتدون احذية باللونين الازرق والاحمر والحزام باللونين نفسيهما، اما تفاصيل بقية الملابس فقد حدد تفاصيلها بخطوط خفيفة باللون الاسود من دون أي

تلوين اما الشعر واللحية والعيون فهي سوداء، لان كثيراً من الرسومات ما تزال تحتفظ ببقايا الالوان[31].

كما استخدم الاشوريون الالوان في عمليات التزجيج[32]، ثم تطور في عمل المنحوتات المقولبة بالاجر المزجج المستوي بتعدد الوانه حيث عثر في مدينة نمرود على جدارية تمثل شعار الاله اشور ضمن موكب ملكي وهو يسحب سهمه وعربه وخيولها وهي تعود الى القرن التاسع، كما استخدمت الالوان في الجدارية المزججة في حصن شلمنصر الثالث في نمرود، وتتكون من (300) قطعة من الاجر المزجج باللون الاصفر مع رسم الشخوص عليه باللون الاسود واضافات اخرى الازرق والابيض والاحمر ويبلغ ارتفاعها 4 امتار[33].

3. الالوان في المنحوتات الجدارية الآشورية:

ربما كانت المنحوتات تطلى بالالوان الاسود والابيض والاحمر، الا انه وعلى الارجح فان المنحوتات لم تكن تلون جميعها وانما كانت الالوان تستخدم في بعض الاجزاء والتفاصيل لتلوين الشعر واللحية والعيون والاسلحة واوراق الشجر واشكال الاقراط والقلائد وهذا ما يظهر في تمثال للملك شلمنصر الثالث وهو يتعبد الى الاله ادد[34].

4. الالوان في المنحوتات العاجية:

ادخل الفنان الاشوري اللون في القطع العاجية واشهرها تلك التي تمثل لبوة وهي تفترس زنجياً وقد طليت اللوحة العاجية ببطانة ذهبية حفرت في خلفيتها ازهار اللوتس الملونة ثم رصعت بالعقيق الاحمر واللازورد وعجينة زجاجية زرقاء[35].

5. الالوان لتلوين الجلود:

اشارت النصوص المسمارية ان هناك متخصصين في صناعة الجلود من دباغة وتلوين فقد كان صباغ الجلود يسمى في اللغة الاكدية (اميل سار ريبamel sa-rip)[36]،حيث اشتهر الاشوريون بانتاجهم للجلود ذات الالوان البراقة ومن ابرزها نوع سمي (دوشو dushu) والتي تعني البلور الصخري النحاس وهو الذي يعطي الجلد لوناً اخضر[37]. كما استخدم الاشوريون مادة السماق التي جاءت بصيغة صفرُ–spiru) والمقاربة للغة العربية صفر الشيء أي جعله اصفر اللون، فقد استخدموا اوراق السماق مع لحاء بعض ثمار الأشجار لتلوين جلود الحيوانات[38] ولأهمية هذه المادة فقد كان التجار الآشوريون يستوردونها، حيث عثر على عقد تجاري في مدينة كركميش في سورية بين جماعة من الاورارتيين في مملكة ميتاني[*] لتجهيز الآشوريين بمادة السماق والعفص التي تستخدم في عملية الدباغة[39].

ومن الصناعات الجلدية الرئيسة صناعة الاحذية التي تصنع من الجلد ذي الالوان وقد اظهرت المنحوتات الجدارية لمدينة دورشروكين (خرسباد) ان جلد الحذاء الاشوري والاشرطة المكملة له ملون بلون واحد هو اللون الاحمر. كما وجد من الرسوم الجدارية الاشورية ان الشرائط المصنوعة من الجلد لاعنة بعض الخيول الملكية كانت ملونة بالاحمر[40].

6. الالوان في مواد التجميل عند الآشوريين:

أدخل الاشوريون اللون كوسيلة من وسائل التجميل وزينة المظهر الخارجي لقيمته الجمالية، فقد اتخذوا انواعاً من الصبغات والدهون والمساحيق استخلصت معظمها من مواد موجودة في الطبيعة[41]، فمثلاً استخدموا لصبغ الشعر صبغة اللون الاصفر باطيافها وهي تؤخذ عادةً من زهرة البانونج المخلوط مع ماء الورد والشب، او مادة الحناء، كما كان اللون الاحمر من اشهر الالوان المستخدمة في التجميل عند النساء الاشوريات، خاصة في الوجنات والشفاه، وقد ابدع الاشوريون في استخلاص اطياف اللون الاحمر وخاصةً اللون الوردي، حيث عثر المنقبون على اوعية طلاءات ضمن عدة الزينة النسائية وهي تحوي على بقايا الطلاءات[42].

كما استخدمت النساء الاشوريات ظل العيون والكحل لإضفاء الجاذبية حيث كان الكحل معروفاً في العراق القديم فقد ذكرت الأسطورة السومرية ان الالهة انانا (عشتار) استخدمته ضمن استعدادها للنزول الى الارض وكان هذا الظل يسمى "عس ان يأتي" فضلاً عن الكحل كان يوضع حول العين بوساطة دبوس عاجي[43].

ثالثاً. الالوان لمعالجة الاوجاع وتشخيص الحالات المرضية والنفسية عند الاشوريين:

اعتقد الاشوريون بقابلية الالوان في التأثير على الحالات المرضية والنفسية ومن ثم شفاؤها فمثلاً اللون الاحمر عندهم له القدرة على طرد الارواح الشريرة فعندما كان المعزم او الكاهن (الاشيبو) يقوم بمعالجة المريض فانه كان يرتدي اللون الاحمر الواقي من الارواح الشريرة ويصرخ مردداً "لففت نفسي ضدك بقطعة قماش حمراء"[44]، كما اعتقدوا بقدرة اللون الاحمر على ابعاد الاذى ولهذا فانهم في كثير من الاحيان كانوا يعمدون الى صبغ اطر ابوابهم باللون الاحمر[45]، لانه يبعد ويخيف الارواح الشريرة وبذلك يحمي مدخل البيت من كل التأثيرات الشريرة، فضلاً عن قدرته على معالجة بعض الامراض كالحصبة، لانه يعطي القوة الجسدية والحيوية والنشاط، كما كانوا يتخذون من اللون الاحمر غطاء لدفن الاموات اعتقاداً منهم بأنه يبعد الاذى عنهم، اما بالنسبة للون الاسود فقد اعتقدوا ان له القابلية على التخلص من بعض الاوجاع، حيث جاء ذكر الخيوط الصوفية المصبوغة باللون الاسود عند وصف ما يجب عمله

للتخلص من بعض الاوجاع في الجسم او لوضعه حول الرأس او حول رقبة الاطفال، كما جاء استخدام حجارة بلون اسود واخضر تعلق في رقبة المرأة الحامل لاكمال مدة حملها بسلام دون اسقاط للجنين[46]، اما بالنسبة للون الاصفر فلربما توصلوا الى ان جرعات من دواء اصفر له القدرة على معالجة اليرقان[47]، كما استطاع الاشوريون من خلال الالوان التي تظهر على المريض سواء في جسمه او عينيه ان يعدوها علامات مهمة تساعدهم في تشخيص المريض والتنبؤ بسيرة وحالة المريض وهذا ما اكدته العديد من النصوص الطبية الاشورية الخاصة بتشخيص الامراض ومنها على سبيل المثال: "اذا كان انف المريض ابيض فانه سيشفى واذا كان انفه داكن اللون فانه سيموت"[48]، وفي نص اخر "اذا كان مريضاً لخمسة ايام وكان جلده مصفراً وعيناه محمرتين فانه سيموت"[49].

رابعاً. رمزية ومعاني الالوان عند الاشوريين:

1. **اللون الاحمر:** اعتقد الاشوريون انه تكمن في هذا اللون القوة والكمال، فضلاً عن عنصر التخويف[50]، حيث اورد الملوك الاشوريون هذا اللون في نصوصهم بصيغة رمزية للتعبير عن مدى قوتهم وقدرتهم على بطشهم باعدائهم، فعلى سبيل المثال يذكر اشور ناصربال الثاني. "دخلت المعركة وعصفت بالمدينة وملأت الشوارع بجثث القتلى وبدمائهم لونت بيوتهم"[51]، او انهم كانوا يوردون هذا اللون في نصوصهم الملكية بصيغة تشبيه للمبالغة في وصف قوتهم وتحطيمهم لاعدائهم، حيث يذكر الملك اشوربانبيال في احد نصوصه. "جعلتُ دماءهم تجري كالسيل في نهر اولاي (نهر الكرخة) الذي اصبغت مياهه باللون الاحمر كانه الصوف المصبوغ"[52].
2. **اللون الارجواني:** كان لهذا اللون عند الاشوريين قدسية خاصة فهو يرمز عندهم الى السلطان ورمز للعوائل المتسلسلة من اصول نبيلة وربما كثر استخدامه في ملابس تماثيل الالهة والملوك والاشوريين الذين حرصوا غالباً على ارتدائه وهذا ما ظهر في رد لرسالة كان الملك سرجون الثاني قد بعث بها الى موظفيه وقد اجابوه قائلين "ان الصوف الارجواني سنجهزه من القصر وسيتم تحضيره حسب الاوامر التي تصلهم"[53]، ولا يزال هذا اللون احد الالوان التي تستخدمها الطبقات الكهنوتية العليا الى يومنا هذا.
3. **اللون الاخضر:** يرمز هذا اللون عند الاشوريين الى الخضرة والخصوبة والتكاثر والحياة الممثلة في خضر النبات ولا عجب انهم استخدموا هذا اللون في مراسيم سحرية لجلب المطر او لتقوية خصوبة الزرع ومن خلال هذا الاعتقاد يمكن تفسير القطعة الاشورية المزججة بالالوان والتي يظهر فيها اله وشخص ملك في وضعية ترجي وقد لونت خلفية الشكل باللون الاخضر وفوق راس الملك تظهر جرادة، وفي اعلى الشكل تبدو رموز بعض الالهة الاشورية

ومنها رمز الاله اشور ان تفسير هذا الشكل يوضح لنا ان اللون الاخضر يرمز الى الخضرة وربما رمزت الجرادة الى الجدب والقحط الحاصل بفعلها وان الملك يترجى الالهة بعودة الخصوبة والزرع والحياة الى اراضي الاشوريين[54].

4. **اللون الاصفر:** يرمز عند الاشوريين للحكمة والرقي وهو لون الشمس والذهب، وقد كانت صبغة لون التذهيب الصبغة المفضلة لدى الموك الاشوريين خاصةً في زينة فرش الالهة او الفرش الخاصة بهم كملوك وقد تكون هذه الصبغة لطلاء الاجزاء الخشبية وبعض قطع المعادن المزينة لها[55]، للتعبير عن مدى الرقي والترف الذي وجد من القصور الملكية الاشورية.
5. **اللون البنفسجي:** يرمز هذا اللون عند الاشوريين للحزن والموت[56] فلم يكن الاسود رمزاً للحزن كما هو معروف عند الناس اليوم.
6. **اللون الازرق:** هو عند الاشوريين رمز للخلود والذوق الملكي الرفيع فكثير ما زينت الصبغات الزرقاء واللازورد قطع الاثاث الملكي سواء كان الفرش الخاصة بالنوم او الارائك او الفرش المعدة للاستراحة في القصور الملكية[57].
7. **اللون الابيض:** هو عند الاشوريين رمز للنقاء والنور والطهارة لذلك كان لون ملابس الكهنة، كما كانت الملابس البيضاء ذات خصوصية دينية ويلبسها الملوك عند القيام ببعض الطقوس الدينية والسحرية وهذا ما اشار اليه النص الاتي: "انه في اليوم العشرين من الشهر قدم الملك بنفسه الطعام الى الاله شمش وهو في ملابس بيضاء"[58].

وفي بعض الحالات كان يتوجب على الملك الاشوري ان يرتدي الملابس البيضاء لفترة معينة، وهذا ما اشار اليه نص الرسالة التالية: "اما فيما يتعلق بالملابس الكتانية البيضاء التي ذكرها سيدي الملك في رسالته سائلاً (كم يوماً علي ان البسها) فيلبسها سيدي الملك في اليوم العشرين واليوم الواحد والعشرين من الشهر يومين كافيين لذلك"[59].

الخاتمة:

عرف العراقيون القدماء بما فيهم الاشوريون صناعة الالوان فقد برعوا في تحضيرها واستخلاصها على هيئة اصباغ استخدموها للطلاء والرسم على الجدران وفي صبغ الاقمشة والملابس وتلوين الجلود والفخار مع اضافة مثبتات معينة تختلف باختلاف المادة المراد صبغها. وكان من أهم نتائج هذا البحث:-

1. ادرك الاشوريون ان الالوان فضلاً عن انها تضفي على اية مادة مصنعة الروعة والجمال فان لها القابلية في التأثير على الحالات المرضية والنفسية وبالتالي علاجها والشفاء منها معتقدين ان لبعضها القدرة على طرد الارواح الشريرة والامراض وانها تكسب حاملها القوة والحيوية الجسدية والنشاط.
2. اعتقد الاشوريون ان لكل لون رمزيته ومعناه بحيث تظهر قوة تأثيره الرمزي على القيم الروحية عن طريق العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية.
3. استعمل الاشوريون الالوان كوسيلة من وسائل التجميل وزينة المظهر الخارجي فقد استخلصوا بعضها على شكل صبغات ودهون ومساحيق استعملت لصبغ الشعر وتجميل الشفاه والوجنات وكحل العيون.

الهوامش:

(1) وردت كلمة (الالوان) في القرآن الكريم في سورة النحل / 13 وسورة الروم / 22.

(2) رشيد، فوزي، "العلوم الانسانية والطبيعية" موسوعة الموصل الحضارية، مجلد 1، 1991، ص380.

(3) الاصباغ: مواد ذات الوان بها نصبغ الاشياء لها جرم ولها وزن وهي مواد من شأنها اذا اوقع عليها ضوء الشمس عكست من طيفها اللون الذي عرفت به. الجبوري، محمود شكر محمود، الالوان تأثيرها في النفس علاقتها بالفن، ط1، 1978، ص49.

(4) الجادر، وليد، "الصناعة"، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد 1، 1991، ص169.

(5) فارس، شمس الدين و د. سلمان عيسى الخطاط، تاريخ الفن القديم، ط1، 1980، بغداد، ص78.

(6) ليفي، مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق وتقديم: د. محمود فياض المياحي واخرون، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980، ص149.

(*) ورد اللون الاحمر في القرآن الكريم "ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها"، فاطر / 27.

(7) الجبوري، محمود شكر محمود، المصدر السابق، ص49.

(8) The Assyrian Dictionary of the Orient institute of the university of Chicago (CAD) 1-P4 – Vol 3 – P74.

(9) الجادر، وليد، الفنون التشكيلية، موسوعة الموصل الحضارية، مجلد 1، 1991،ص451.

(10) الزرقي، محسن احمد عبدالله، "اصالة العلوم البحتة والتطبيقية في بلاد وادي الرافدين وتأثيرها على بلاد اليونان"، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الاداب، 1997، ص148.

(*) ورد هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى "ونحشر المجرمين يؤمئذ زرقا" طه / 102.

(11) لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية ترجمة الاب البير ابونا، وليد الجادر، وخالد سالم اسماعيل، مطبعة المجمع العلمي، 2004م، ص397.

(12) الجادر، وليد، الصناعة، المصدر السابق، ص218.

(13) المصدر نفسه، ص218.

(14) الجادر، وليد، الفنون التشكيلية، المصدر السابق، ص450.

(15) ليفي، مارتن، المصدر السابق، ص150.

(16) سليمان، عامر، اللغة (الاكدية – البابلية – الاشورية) تاريخها، تدوينها، قواعدها، موصل، 1991، ص61.

(17) ليفي، مارتن، المصدر السابق، ص145.

(18) المصدر نفسه، ص152.

(19) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص314.

(20) الجادر، وليد، الصناعة، المصدر السابق، ص212.

(21) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص385.

(22) رشيد، فوزي، "العلوم والمعارف"، حضارة العراق، ج2، بغداد، ص352.

(23) الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، بغداد، مطبعة الاديب، 1972، ص224.

(24) لابات، رينيه، المصدر السابق، ص372.

(*) ورد اللون الاخضر في القرآن الكريم "عاليهم ثياب سندس خضر" الانسان / 21.

(25) ليفي، مارتن، المصدر السابق، ص149.

(*) الطنافس، مفردها طنفس هي البساط الذي له خمل رقيق، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص433.

(26) سعيد، مؤيد، "الرسوم الجدارية منذ اقدم العصور"، حضارة العراق، ج3، بغداد، ص274.
See Al- Kaissi, Bahira, "Mural Paintings and Pigments in Iraq",Sumer, Vol. 1-2, No. 43, 1984, P. 168.

(27) الجادر، وليد، الفنون التشكيلية، المصدر السابق، ص449.
See Al-Kaissi, B, Ibid, P. 168.

(28) سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص278.

(29) بارو، اندريه، بلاد اشور، باريس (1961)، ترجمة وتعليق، عيسى سليمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1980، ص115.

(30) المصدر نفسه، ص125، كذلك ينظر: الباشا، حسن، تاريخ الفن في العراق القديم، ط1، القاهرة، 1956، ص105.

(31) بارو، اندريه، المصدر نفسه، ص125، كذلك سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص279.

(32) التزجيج: تمكن العراقيون القدماء من القيام بعمليات التزجيج وذلك باستخدام مواد كيمياوية مثل السليكات والصودا والرصاص، حيث يمكن تزجيج وتلوين ما يراء تزجيجه من خلال اضافة اكاسيد معدنية بنسب معينة وهي اكاسيد النحاس والرصاص والحديد والكوبالت، حيث تم تزجيج الجدران باللون الاخضر والازرق الغامق والوان اخرى. كما عرف

الاشوريون تزجيج الفخار حيث عثر على جرتان من الفخار المزجج بالالوان احدهما من خرسباد والاخرى من نمرود. انظر: بصمة جي، د. فرج، كنوز المتحف العراقي، بغداد، 1975، ص291.

(33) سعيد، مؤيد، المصدر السابق، ص278، بصمة جي، فرج، المصدر نفسه، ص283.

(34) Mallowan, M. E, Nirmrud and It Shalmaneser Remains, Vol. 11, London, 1966. P. 310.

كذلك ينظر: حازم، حسين يوسف، "الملك الاشوري شلمنصر الثالث 859–824 ق.م" ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2001م ص81.

(35) بارو، اندريه، المصدر السابق، ص274.

(36) الصوفي، شذى بشار حسين محمد، " دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين" ، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2004م، ص55.

(37) المصدر نفسه، ص 55.

(38) الجادر، وليد، الصناعة، المصدر السابق ، ص220.

(39) Olmstead H. A, History Of Assyria, London, 1960, P. 560.

(*) مملكة ميتاني: مملكة اسسها الحوريون من بحيرة وان الى نهر الفرات ومن جبال زاكروس الى الساحل السوري. للمزيد من المعلومات عن الميتانيين انظر: شيت، ازهار هاشم، علاقة بلاد آشور مع بلاد الاناضول خلال الالفين الثاني والاول ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 1996، ص 24–34)

(40) الجادر، وليد، الصناعة، المصدر السابق ، ص222، هامش (36)، ص228.

(41) ليفي، مارتن، المصدر السابق، ص150.

(42) الباشا، حسن، المصدر السابق، ص178.

(43) اسماعيل، شعلان كامل، "الحياة اليومية في البلاط الملكي الاشوري خلال العصر الاشوري الحديث(911–612ق.م) "، اطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1996، ص97.

(44) الجادر، وليد، الحرف والصناعات، المصدر السابق، ص245.

(45) كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل اشور، ص 245، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط2، 1986، بغداد، ص90.

(46) الجادر، وليد، المصدر نفسه، ص245، للمؤلف نفسه، نظرات في مباحث ومؤلفات، سومر، ج1–2، مجلد 26 لسنة 1970، ص410.

(47) كونتنيو، جورج، المصدر السابق، ص490.

(48) عبد الرحمن، يونس عبد الرحمن، "الطب في العراق القديم"، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1989، ص94.

(49) المصدر نفسه، ص94.

(50) الجادر، وليد، نظرات في مباحث ومؤلفات، سومر، مجلد 4، ع(1-2)، 1968، ص231.

(51) Olmstead, A. T, op, cit., P. 89.

كذلك ينظر:الطائي، نبيل نور الدين حسين محمد، من حملات (اشور ناصربال) الثاني في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2001م، ص 67.

(52) Millard, A. R., "Another Babylonian Chroncle Texts", Iraq,Vol 16. Part 1. 1974, P. 19.

(53) الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية، المصدر السابق، ص19.

(54) المصدر نفسه، ص222.

(55) الجادر، وليد،الصناعة، المصدر السابق، ص212.

(56) المصدر نفسه، ص220.

(57) الجادر، وليد، الحرف والصناعات، المصدر السابق، ص222، كذلك ينظر: الجادر، وليد، الصناعة، المصدر السابق، ص212.

(58) اسماعيل، شعلان كامل، المصدر السابق، ص32.

(59) المصدر نفسه، ص32.